

التييمات السياسية في السينما العربية

جامعة معسكر

مشريط ستوسي



استهلال:

فقد أخذت السينما العربية على عاتقها معالجة هذه القضايا والتييمات السياسية من زوايا متعددة باعتبار أن هذه القضايا تعكس مستوى معيشة أفراد المجتمعات العربية. ومن ثم حاول السينمائيون التطرق إلى مجمل القضايا السياسية التي تعاني منها هذه المجتمعات، علّما تساهم في رسم صورة حقيقية ومؤثرة لما يعيشه الإنسان العربي.

السينما والسياسة: وجهان لعملة واحدة.

لقد شكّلت السياسة كأحد المواضيع والتييمات التي ارتكزت عليها السينما العالمية والعربية في مسارها التاريخي إلى يومنا هذا، حيث كانت المادة الرئيسة التي لُحلت منها مضامينها، واستطاعت أن تجسّد بالصورة والصوت والحركة هموم ومشاكل مختلف الطبقات الاجتماعية على اختلاف مستوياتهم. والمتتبع لتاريخ السينما سيلاحظ ذلك التزاوج الذي حدث بين هذين الفنين (فن السينما/فن السياسة) طيلة عقود من الزمن. نتج عنها بروز علاقة وطيدة بينهما، توثقت أكثر فأكثر بفضل إدارك الكتّاب "بأهمية الموضوعات السياسية،

عرفت السينما العربية قفزة نوعية في مسارها الإبداعي وذلك من خلال طبيعة الأفلام التي أنتجتها طيلة عقود من الزمن، حيث شكّلت هذه الأفلام رصيذاً غنياً متميزاً، حفل بتييمات عديدة ومتنوعة كانت بحق تيمات رائعة لكونها لامست المشاكل التي تعاني منها أغلب المجتمعات العربية. فقد تنوعت هذه التيمات ما بين تيمات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وحضارية ونفسية....حيث عمدت هذه التيمات إلى رصد أهم القضايا المؤثرة في أوساط الفئات الشعبية الاجتماعية.

وبما أن القضايا والتييمات السياسية تلعب دوراً جوهرياً في أي مجتمع من المجتمعات لكونها مرتبطة أشد الارتباط بالفكر الإيديولوجي السائد لدى السلطة الحاكمة، ونظام الحكم المطبّق من

والأحداث السياسية كموضوعات للسينما ولجلب المشاهدين ولبناء الوعي السياسي، وبالتالي التأثير في الأوضاع السياسية⁽¹⁾.

فالفكر السياسي كان له أهمية كبيرة في إبداع السينمائيين لما له من أهمية كبيرة في الكشف عن الوعي السياسي للأفراد، وهذه النظرة تتضح من خلال تلك الأفلام العديدة التي أنتجت عبر مسيرة السينما، والتي بينت بشكل واضح هذه العلاقة الوثيقة التي برزت في المجال الإبداعي. وفي هذا الصدد يُعتبر المخرج السينمائي "ميليس أول من صوّر أحداث ومشاهد من الحرب الإسبانية الأمريكية عام 1896 مبرزاً يحمل الأحداث السياسية التي تميزت بها هذه الحرب. كما يمكن اعتبار فيلم التعصب للمخرج جريفث الذي ظهر عام 1918 أول فيلم روائي طويل يتميز بموقفه السياسي الواضح... مروراً بعد ذلك بإيزيتشاين خاصة في فيلمه الكبير المدرعة بوتمكنين عام 1927، بينما تميزت أعمال شارلي شابلن في أغلبها بحس سياسي راق خاصة فيلمه الدكتاتور. ثم بدأت الأفلام السياسية تغزو شاشات العالم... وتوالى أسماء لمخرجين لمعوا في المجال السياسي من أمثال: بوتنكرفو، ومخرجي مدرسة نيويورك التي طرحت الفيلم السياسي طرْحاً مباشراً خاصة أعمال إمليو انطونيو، وإلى جانبها جوريس الفتى وبو ودرديج السويدي....⁽²⁾.

فهذه الأسماء لها فضل كبير في بروز السينما السياسية كنوع أساسي في المنظومة السينمائية العالمية، حيث ساهموا مساهمة فعّالة في انتشار هذا

النوع الفني في أقطار العالم بفضل الانتشار الواسع للأفلام التي أبدعوها.

كما أن السينما العربية كان لها حظ كبير في تجسيد تلك العلاقة المتلازمة التي تكونت بين السينما والسياسة، حيث أنتجت في هذا الشأن العديد من الأفلام ذات الطابع السياسي كان لها تأثير كبير في أوساط المجتمعات العربية، سواء ما تعلّق بالأحداث السياسية المرتبطة بفترة استعمار جُلّ البلدان العربية، أو ما تعلّق بما بعد استقلالها. وفي هذا الشأن يمكننا ذكر بعض الأفلام التي طرحت مضامين وتيمات سياسية طرْحاً فنياً وجماليّاً يعبر بوضوح عن رؤية مبدعيها. مثل فيلم (أولاد الدوات) للمخرج المصري محمد كريم الذي أنتجه عام 1932، وهو أول فيلم يفجر معركة سياسية عند عرضه⁽³⁾. وفيلم (بنت الليل) للمخرجة المصرية عزيزة أمير، وأيضاً فيلم (أنشودة الفؤاد) للمخرج ماريو فولبي الذي أنتجه عام 1932. وفيلم (1/2 ثورة) للمخرجين كريم الحكيم وعمر شرقاوي، وأيضاً فيلم (كيف تسقط ديكتاتوراً) للمخرج محمد عزت، وفيلم (اللحظات الأخيرة) للمخرج أحمد الزين.... وهذه الأفلام الأخيرة مرتبطة بما وقع لمصر أثناء ما يسمّى بالربيع العربي، والذي أدّى في النهاية إلى سقوط نظام حسني مبارك.

وإذا كانت مصر رائدة في تجسيد علاقة السينما بالسياسة من خلال الأفلام العديدة التي شكّلت ألبوماً بانورامياً متنوعاً من الأفلام السياسية. فإن البلدان العربية الأخرى كلبان والعراق وسوريا والجزائر والمغرب وتونس... جسّدت بدورها روح العلاقة القائمة بين السينما والسياسة، وراحت تنتج

أفلاماً عديدة تطرح من خلالها الكثير من التيمات السياسية المرتبطة بشعوبها. وقد انعكست هذه العلاقة بشكل جلي في الأفلام التالية: (المتهم البريء) للمخرج السوري أيوب بدري (1928)، وفيلم (القلعة الخامسة) للمخرج بلال الصابوني (1978) الذي يتناول قصة الصراع بين الشعب والسلطة التي تحكم بوسائلها القمعية، وهو فترة معينة في تاريخ سوريا⁽⁴⁾. وأيضا فيلم (وراء الحدود) للمخرج زهير الشوا الذي أنتجه سنة 1963...

أما لبنان فقد أنتجت أفلاماً عديدة ومتميزة مثل: (فيلم بائعة الورد) للمخرج علي العريس 1943، وفيلم (عذاب الضمير) للمخرج جورج قاعي 1957، وفيلم (إلى أين؟) للمخرج جورج نصر 1957... بالرغم من قلة الأفلام السينمائية السياسية في القطر اللبناني، إلا أن الأفلام التي أنتجت كانت أفلاماً راقية من حيث طبيعة التيمات التي عالجتها السينما اللبنانية مما يدل على مدى وعي وقدرة كتابها ومخرجيها على إبداع سينما قادرة أن تكون في مستوى طموحات أفراد مجتمعها.

والكلام نفسه ينسحب على السينما المغاربية، حيث حققت نجاحاً كبيراً بفضل طبيعة المضامين والتميمات التي عالجتها، والتي ارتبطت في أغلبها بالقضايا السياسية السائدة في بلدانها. في هذا الشأن تبرز الأفلام التالية كنماذج رائدة في معالجة الأمور والأحداث السياسية بمنظور سينمائي يعتمد بالأساس على صورة الجمالية في التشكيل الفني. مثل الأفلام الجزائرية: (ريح الأوراس، وقائع سنوات الجمر) للمخرج محمد لحضر حامينا، و(الأفيون

والعصا، مصطفى بن بولعيد) للمخرج أحمد راشدي، وفيلم (الفحام) للمخرج محمد بوعماري، وفيلم (باب الواد سيّتي) للمخرج مرزاق علوش، وفيلم (الخارجون عن القانون) للمخرج رشيد بوشارب. هذا الفيلم الذي يصوّر "حقبة من تاريخ الجزائر الحديث بصراعاتها السياسية إبان الاستعمار الفرنسي، إذ يتموضع بين مجموعة من الأفلام القليلة التي تطرقت في السنوات الأخيرة للثورة التحريرية"⁽⁵⁾. بالإضافة إلى العديد من الأفلام ذات التوجه السياسي بشتى أنواعه (الثوري والاجتماعي والأيديولوجي).

أما بالنسبة للأفلام المغربية فنجد هناك تنوعاً في تجسيد مختلف القضايا والمضامين ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع المغربي التواق إلى سينما تفتتح على مشاكله وقضاياها. وفي هذا الشأن نذكر بعض الأفلام التي كان لها حضور متميز في مسيرة السينما المغربية، من بينها فيلم (الأيام.. الأيام) للمخرج أحمد المعنوي، وفيلم (أحداث بلا دلالة) للمخرج مصطفى الدرقاوي 1975، وفيلم (حرب البترول لن تقع) للمخرج سهيل بن بركة 1975، وفيلم (شبهة) للمخرج عبد اللطيف لخلو 1986، الذي "يعرض لقصة حب، على خلفية الصراع الاجتماعي-السياسي بين العمال ورب العمل"⁽⁶⁾. وفيلم (عطش) للمخرج سعد الشرايبي، وفيلم (الذاكرة 14) للمخرج أحمد البوعناني...

بينما تميزت الأفلام التونسية بطرحها العميق لحمل القضايا والتميمات الاجتماعية والسياسية، مثل فيلم (رسائل من سجنان) للمخرج عبد الطيف بن عمار الذي أخرجه عام 1974، وفيلم (شمس

الضباع) للمخرج رضا الباهي الذي أخرجته سنة 1977، وفيلم (...وعداً) للمخرج إبراهيم باباي الذي أخرجته عام 1972. وفيلم (لا خوف بعد اليوم) للمخرج مراد بن شيخ الذي "يتابع فيه وقائع الثورة وسقوط نظام الرئيس السابق زين العابدين بن علي"⁽⁷⁾...

لقد أرادت هذه الأفلام أن تحقق العلاقة المتداخلة بين السينما والسياسة، وذلك عن طريق المعالجة الفنية والجمالية لأهم القضايا والأحداث السياسية التي عرفتتها المجتمعات العربية. وقد استطاعت هذه الأفلام أن تجسّد فعلاً أحوال وظروف أغلبية المجتمعات في صراعاتهم اليومي مع الحياة والمتغيرات البيئية المحيطة بهم. وتعتبر هذه الأفلام صورة مصغرة أو عينة صغيرة من نماذج فيلمية عديدة، اتخذت من السياسة مادة أساسية لمعالجة مختلف القضايا المرتبطة بالفئات الاجتماعية.

البدايات الأولى للأفلام السياسية:

إنّ مصطلح الفيلم السياسي مصطلح غير ثابت وغير متفق عليه من قبل العديد من السينمائيين، على اعتبار أن بعضهم يعتبر "كلّ الأفلام ذات بعد سياسي لأنها ناتج ثقافي واقتصادي، وكلّ عمل وإنتاج ثقافي لا بد له في آخر التحليل من مضمون وهدف سياسي حتى وإن لم يدركه أصحابه، ومن ثم فإنّ الفيلم يخضع لشروط الواقع السياسي، وتنعكس فيه بشكل أو آخر الأوضاع السياسية السائدة، كما أنه يعبر عن وجهة نظر سياسية حتى لو كان يدير ظهره للسياسة"⁽⁸⁾. وتسمية الفيلم السياسي ترجع إلى اعتباره نوعاً من أنواع الأفلام السينمائية الأخرى على غرار: الأفلام

البوليسية، والأفلام الرومانسية، وأفلام الرعب، والأفلام الخيالية، والأفلام الواقعية والأفلام الكوميديّة.... وغيرها من الأنواع الفيلمية التي عرفتتها السينما منذ ظهورها. ومن ثم كانت هذه التسمية نابعة من كون طبيعة الفيلم يتضمّن قضايا وأحداث سياسية بالدرجة الأولى، ويهدف إلى إثارة هذه القضايا والمضامين لدى أوساط الجماهير حتى تكون مدركة لما يدور حولها .

أما بالنسبة لظهور مصطلح الفيلم السياسي فيعود أصلاً إلى سنة 1972، أي بعد ظهور فيلم (Z) للمخرج كوستا جافراس. وهو إنتاج مشترك بين الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية (الجزائر)/وريغان فيلم (باريس) عام 1968، والفيلم "تحليل حقيقي لحالة اغتيال سياسي، أما العنوان الجديد (زد) فهو اختصار لكلمة (زي) في اللغة اليونانية ومعناها (سيعيش) وهو يشير إلى المغزى الحقيقي للفيلم"⁽⁹⁾. أما فيما يخص المضمون الذي عالجته الفيلم فهو يتحدث عن "تجربة نضال ديمقراطي في مجتمع محكوم بعصاة قامت بانقلاب عسكري في اليونان، وحكمت البلاد حكماً حديداً من خلال أشكال مختلفة من الإرهاب والرعب، بما في ذلك تشكيل منظمات اغتيال سرية"⁽¹⁰⁾. هذا الفيلم إذن فضح تلك العصاة واستطاع أن يكشف النقاب عنها وعن سلوكياتها القائمة على القوة والجبروت والعنف.

بعد هذا الفيلم توالى أفلام أخرى جنحت نحو معالجة التيمات المرتبطة بالظروف السياسية للمجتمعات على غرار فيلم (قصبة مائية) للمخرج فرانسكو لوزي، وفيلم (ساكو وفانزين) للمخرج

فيلم (الاختيار) للمخرج المصري يوسف

شاهين:

يعدّ هذا الفيلم من أبرز الأفلام السينمائية التي أنتجها المخرج يوسف شاهين عبر مسيرته الإبداعية الطويلة، فهذا الفيلم يدخل ضمن أفلامه السياسية النموذجية التي تعالج المسائل السياسية والإيديولوجية بحرفية كبيرة. لقد عرض المخرج في فيلمه الذي أخرجه عام 1971 "أزمة المثقفين وازدواجيتهم من خلال شخصية الكاتب مراد كنموذج للمثقف الانتهازي، والذي لم يستطيع أن يحقق التوازن بين كونه كاتباً وكونه إنساناً"⁽¹²⁾. فيوسف شاهين وإن غلب على أفلامه الحس الجمالي والذوق الفني وتقنيات الفلاش باك وتقنيات الاسترداد للشخصيات في حواراتها، إلا أن التيمة السياسية هي العنصر الغالب والمسيطر على تركيبة الفيلم من حيث المضمون والدلالة التي يغيها من وراء عرض فيلمه. فمعظم أفلامه التي اشتهر بها، وأشاد بها النقاد، تعالج تيمات سياسية بالدرجة الأولى مثل: فيلم (صراع في الوادي) 1954، وفيلم (جميلة الجزائرية) 1958 وهو يتناول المجاهدة جميلة بوحيرد، وفيلم (الناصر صلاح الدين الأيوبي) 1963، وفيلم (الناس والنيل) 1972، وفيلم (العصفور) 1972 وهو فيلم مشترك مصري/جزائري، وفيلم (الوداع يا بونايرت) 1985 وهو فيلم مشترك مصري/فرنسي....

ورغم نجاح هذه الأفلام من حيث معالجتها وطرحها العميق للقضايا السياسية، إلا أن فيلم (الاختيار) يبقى أحسن هذه الأفلام وأبرزها تمثيلاً للموقف السياسي، بوصفه كان أكثر تركيزاً

جوليانو مونتالدو، وفيلم (الحصار) للمخرج كوستا جافراس، وفيلم (لا تعيش هنا بعد اليوم اليسا) للمخرج مارتن سكورسيس، وفيلم (الوجه المعرض للإهانة) للمخرج مارتن ريت، وفيلم (زواج أمي) للمخرج فرانشيس فورد كوبولا..... وغيرها من الأفلام السياسية المتميزة التي عاجلت مختلف القضايا السياسية التي سادت في المجتمعات، معالجة تركز بالأساس على تبيان المظاهر السلبية لهذه القضايا، والكشف عن أسبابها وأضرارها.

والشيء الملاحظ عن ظهور الفيلم السياسي أنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً "بازدياد الحرب في فيتنام وبأحداث القارة الإفريقية في أمريكا اللاتينية، كما ارتبط أيضاً بصورة مباشرة بحركة الشباب في نهاية التسعينات"⁽¹¹⁾. فهذه الحروب كانت سبباً مباشراً في بروز هذا النوع من السينما بغية تجسيد مظاهر هذه الحروب وأسبابها ودوافعها. وكانت دافعاً قوياً للمبدعين السينمائيين من أجل تأريخ هذه الأحداث وتوثيقها ضمن أعمال سينمائية.

طبيعة الفيلم السياسي في السينما العربية:

كان الفيلم السياسي العربي نموذجاً منفرداً في طرحه للتييمات السياسية، حيث كان يعتمد على إبراز القضايا السياسية لها صلة وثيقة بما يعانيه أفراد المجتمعات العربية في حياتهم المعيشية. ففي هذا الشأن تبرز أفلام عديدة أنتجتها السينما العربية عبر مسارها الإبداعي، تضمّت في ثناياها خطابات سياسية إيديولوجية، تمتح مضامينها من الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي الذي تعايشه البلدان العربية.

وعمقاً لقضية الهزيمة (أي هزيمة 1967)، وقد جاء مباشرة بعد هزيمة العرب في حربهم ضد إسرائيل عام 1967، هذه الهزيمة التي حملها للمثقفين بشكل خاص، وهذا ما أكدّه في أحد حواراته مع الناقد السينمائي سمير فريد، حيث قال: "الاختيار هو بؤرة هذه المرحلة، إذا كانت هناك مرحلة. إنه المواجهة المباشرة مع الهزيمة، والطرح الواضح لمسؤولية المثقفين عن هذه الهزيمة، ومسؤولية المجتمع ككل" (13).

إن يوسف شاهين يعترف اعترافاً واضحاً في فيلمه (الاختيار) بهزيمة العرب في حرب 67، وهي هزيمة مُرّة جاءت لتعيد مرة ثانية طرح قضية الصراع بين العرب وإسرائيل. وقد أراد يوسف شاهين عن طريق الكاميرا أن يفتح باب النقاش عن أسباب الهزيمة ودوافعها، ومراجعة السياسات المتبعة في هذا الشأن، وإعادة النظر فيها من كل جوانبها حتى يتم استخلاص العبر منها في المستقبل.

فيلم (المغامرة) للمخرج السوري محمد

شاهين:

قصة الفيلم مستوحاة أو مقتبسة من مسرحية الكاتب الراحل سعد الله ونوس الموسومة ب: (مغامرة رأس المملوك جابر). فنظراً لتراثية المسرحية باعتبارها تتناول قصة الصراع الموجود بين الخليفة والوزير من أجل الحكم أو السلطة. نجد المخرج محمد شاهين اختار هذه المسرحية من أجل نقلها نحو السينما حتى يتم إسقاط مضمونها على الواقع السوري، لذلك كان فيلم (المغامرة) تجربة جديدة في مسار هذا المخرج الواعد، فقد أخرج هذا الفيلم عام 1974، أما قصة الفيلم فهي قصة تاريخية مثلما ذكرنا من قبل، حيث حاول المخرج إعطاء

تفسيرات معاصرة لها من خلال "تناول موضوع الصراع على السلطة بين خليفة بغداد ووزيره. إذ يحاول الوزير الاستعانة بجيوش الأعداء لنصرتة ويستغل مملوك حارس موقف عدم استطاعة الوزير إرسال رسالة إلى العدو فيقترح عليه أن يكتب الرسالة على رأسه بعد أن يخلّق شعره. ويذهب الحارس في مهمته تحذره أحلام كثيرة بالثورة والجاه والجواري ولكنه يكتشف بعد فوات الأوان أن الوزير طلب من العدو قطع رأس حامل الرسالة. وبهذا تنتهي هذه المغامرة الانتهازية إلى فشل" (14).
فالفيلم إذن يحمل تيمة سياسية استطاع محمد شاهين استغلالها سينمائياً للتعبير عن رأيه حول الصراع على السلطة بين مختلف القوى السياسية للبلاد، ولأجل ذلك عمد المخرج إلى توظيف تقنيات سينمائية عديدة، كما أنه جنح نحو استعمال عناصر فنية وجمالية، كاعتماده على تقنية الرقص التي رآها بعض النقاد مبالغاً فيها للتعبير عن أحلام الانتهازي جابر بالنساء، والثورة، أو لتفسير ظلم السلطة في مشهد اغتصاب الفتاة، أو لإبراز الوزير غارقاً في ملذاته "مشاهد الجنس بين الوزير والجارية" (15).

إن فيلم (المغامرة) يعدّ مغامرة في حدّ ذاته لكونه يقوم أساساً على تحويل مسرحية من خصوصيتها الدرامية المعتمدة على الركح المسرحي إلى مشاهد فيلمية تقوم على فن الصورة لتجسيد أحداثها. وهذه العملية تتطلب تقنيات عديدة في عمل المخرج السينمائي. من أجل الوصول إلى تحقيق فيلم سينمائي بكلّ عناصره التي تتطلبها السينما. وهذا ما حقّقه المخرج محمد شاهين الذي كان هدفه الأساسي هو تجسيد رؤيته السياسية لموضوع ظلّ

لوقت طويل يؤرقه. إنه موضوع الصراع على السلطة. وبناء على هذه الرؤية راح المخرج يستعرض قصته عبر مشاهد الفيلم محاولاً التركيز على العلاقة بين الخليفة والوزير من جهة، وعلاقة الوزير بالحارس الذي حاول استغلاله لتنفيذ خطته من جهة أخرى. وهذه العلاقات لها انعكاس مباشر لما هو موجود في الواقع العربي، حيث نجد أغلبية القوى السياسية تلهث وراء السلطة مستعملة كل الوسائل الشريفة منها، وغير الشريفة للوصول إلى الحكم. وهذا ما حاول المخرج تبيان من خلال فيلمه (المغامرة).

فيلم (الخارجون عن القانون) للمخرج

الجزائري رشيد بوشارب:

يمثل هذا الفيلم أحد أبرز الأفلام الثورية المرتبطة بالسياسة التي أنتجتها السينما الجزائرية. فهو يعالج موضوعاً أساسياً في تركيبته المضمونية، إذ يتطرق إلى تيمة الثورة التحريرية في ارتباطها بالموقف السياسي للمستعمر الفرنسي من هذه الثورة. فالمخرج رشيد بوشارب ركّز في فيلمه على أحداث تاريخية معينة، حيث ضبط الفترة الزمنية لهذه الأحداث من سنة 1925 إلى 1962، وهي فترة كافية حسبه للتطرق إلى تجسيد معاناة الشعب الجزائري ونضاله ضد المستعمر الفرنسي من أجل نيل حريته وكرامته. ومن ثم فإن تفاصيل الفيلم تتطرق إلى العديد من الأحداث التي حدثت طيلة فترة الاحتلال، مثل "حركة المقاومة لجهة التحرير الوطني FLN بفرنسا، حيث تسلط الضوء على ممارسات مناضليها التي تبدو للعيان ممارسات تستيحي الترهيب، فيحاكي كواليس تواجد الجبهة بالأراضي

الفرنسية وصراعها بالحركة الوطنية الجزائرية MNA التي كانت تؤمن بخيار استرجاع الاستقلال من خلال صناديق الاقتراع عكس الجبهة التي كانت تؤمن بضرورة المقاومة"⁽¹⁴⁾.

فالمخرج حاول من خلال هذا الفيلم أن يستعرض التيمة السياسية بكل أبعادها، محاولاً بذلك إبداء رأيه حول علاقة الشعب الجزائري بالثورة التحريرية من جهة، وبين علاقة المستعمر الفرنسي بالشعب الجزائري ونضاله ضده. ولأجل هذه القضايا نجد المخرج رشيد بوشارب يعتمد على تقنية الفلاش باك لاختصار الزمن في تطرقه للأحداث التاريخية التي وقعت. إضافة إلى ذلك نجده يركّز على مظاهر الديكور والملابس كعناصر رئيسة في خلق جو تاريخي للثورة التحريرية، بغية توصيل أفكاره المتعلقة بوصف ما حدث أثناء الثورة التحريرية من جرائم وعنف وتقتيل... وغيرها من الصفات الهمجية التي تميز بها المستعمر الفرنسي.

إنّ فيلم (الخارجون عن القانون) يقوِّنة سينمائية لمعاناة شعب أعزل صمد 132 سنة من أجل الدفاع عن أرضه وكرامته. وقد كان حقاً شعباً متميزاً في النضال والصبر والمقاومة، استطاع بفضل هذه الصفات أن يطرد أكبر قوة عالمية ويدحض الفكرة القائلة: (فرنسا القوة التي لا تقهر). ومن ثم فإن الفيلم السينمائي (الخارجون عن القانون) جاء ليرصد العديد من المعاني والدلالات التي حفلت بها الثورة التحريرية، منها توثيق أحداث هذه الثورة، وتعريّة الوجه الحقيقي للعدو الفرنسي في تعامله مع الشعب الجزائري، وتجسيد معاناته وتبيان نضاله ومقاومته الباسلة، والتركيز على تحقيق النصر والحريّة

من خلال هذه الثورة التي أصبح يُضرب به المثل في قضايا التحرر.

فيلم (الأيام.. الأيام) للمخرج المغربي أحمد

المعنوني:

إنّ فيلم (الأيام.. الأيام) لمخرجه أحمد المعنوني يعدّ إبداعاً مهماً في تجربة هذا المخرج، إذا إنه حاول أن يضمّن فيلمه قضية سياسية هامة تتمثل في واقع طبقة الفلاحين بالريف المغربي، هذه الطبقة التي غالباً ما نجدها تعاني في أغلب البلدان العربية، لكونها تعاني من الظروف البيئية ومن عدم توفر حلّ الإمكانيات التي تساعد على التغلب على معظم المشاكل التي تلاقيها. وهذا ما حاول تجسيده المخرج أحمد المعنوني في فيلمه، حيث قال: "لقد عاجلت في فيلمي مشكلة بسيطة، وأعطيت الكلمة للناس الذين أحبهم. قال لي مخرج عربي أنه يترتب علينا أن نقدم 10% من الحقيقة إذا أردنا أن نعرض أفلاماً على الجماهير، لقد قدمت 90% من الحقيقة، ولم يعرض فيلمي في المغرب، هذا السؤال أطره على نفسي، وحتى خلال الفيلم عرضنا مشكلة أسرتين فقط من خلال أفلام أخرى لابد أن نتحدث عن أشياء أخرى لم نتحدث عنها خلال "الأيام.. الأيام"⁽¹⁷⁾. هذا الاعتراف من المخرج يدلّ على أن التهمة التي اختارها لا يمكنها أن ترضي السلطة الحاكمة لكونها تفضح بكل تأكيد واقع المجتمع المغربي. وحتى دلالة العنوان تحمل بعداً فكرياً عميقاً، حيث لها انعكاس دلالي على الأيام التي تعيشها مجمل الطبقات الاجتماعية المغربية. إن اختيار المخرج أحمد المعنوني لهذا الفيلم هو مساهمة فعّالة منه من أجل التطرق إلى المشاكل والقضايا السياسية بالدرجة الأولى للشعب

المغربي. فقد اعتمد بالدرجة الأولى على عدسته لنقل ظروف ومعيشة الفلاحين، وحاول نقلها إلى المتفرج، من أجل تبيان حقيقة هذه الطبقة وما تعيشه من ظروف صعبة ومعقدة.

خلاصة القول:

إنّ أهم ميزة نخرج بها من خلال هذا الاستعراض الفكري والفني للتييمات السياسية في السينما العربية، هو أن الفيلم السياسي كان له وقع كبير لدى المجتمعات العربية بوصفه حمل همومها ومشاكلها وقضاياها. ومن جهة أخرى شكّل حاجساً قوياً لدى السلطات والأنظمة الحاكمة لكونه ساهم في فضح السياسات السلبية لهذه الأنظمة تجاه شعوبها. ومن ثم كان الفيلم السياسي له أثر كبير في السينما العربية من حيث اعتماده على تيمات أساسية مرتبطة بواقع الشعوب العربية. هذه التيمات التي كانت مبنية على فكرة الغوص في الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذه الشعوب.

كما أن الأفلام السياسية المنتجة ساهمت كثيراً في تطوير وازدهار السينما العربية باعتبار أن هذه الأفلام شكّلت وعياً فكرياً لدى الجماهير العربية، ممّا جعل العديد من السينمائيين العرب ينجحون نحو إنتاج أفلام ماثلة لتلك الأفلام السياسية السابقة. وخير دليل على ذلك هو بروز أفلام جديدة في الفترة الأخيرة (لقد أشرنا إلى بعضها في متن هذا البحث) تتعلّق بالثورات العربية وما نتج عنها من تغييرات على مستوى الأنظمة الحاكمة، خصوصاً في مصر وتونس وسوريا والعراق وليبيا.

الهوامش:

¹¹.محمود عطا الله: السينما... شابة عمرها مائة عام، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 1995/439 ص70.

¹².سيد سعيد: السينما والسياسة (مرجع سابق)، ص125.

¹³.سمير فريد: أضواء على سينما يوسف شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997 ص134.

¹⁴.جان الكسان: السينما في الوطن العربي (مرجع سابق)، ص111.

¹⁵.المرجع نفسه، ص111.

¹⁶.منصور كريمة: اقتراب موضوعاتي في السينما السياسية خلال الألفية الثالثة بالجزائر: الخارجون عن القانون لرشيد بوشارب أنموذجاً (مرجع سابق)، ص22/21.

¹⁷.جان الكسان: السينما في الوطن العربي (مرجع سابق)، ص258/257.

¹.سيد سعيد: السينما والسياسة (الحالة المصرية)، سلسلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 26، العدد 1997/01 ص80.

².المرجع نفسه، ص80.

³.المرجع نفسه، ص96.

⁴.جان الكسان: السينما في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص115.

⁵.منصور كريمة: اقتراب موضوعاتي في السينما السياسية خلال الألفية الثالثة بالجزائر: الخارجون عن القانون لرشيد بوشارب أنموذجاً، مجلة آفاق سينمائية، تصدر عن مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية، جامعة وهران، العدد 2013/01، ص20.

⁶.مصطفى المسناوي: عن السينما العربية تاريخها ونقدها المغرب نموذجا، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 26، العدد 1997/01 ص60.

⁷.حميد ابتاتو: السينما واحتياجات الثورة في البلدان العربية "السينما المغاربية والمصرية نموذجا"، مجلة آفاق سينمائية (مرجع سابق)، ص31.

⁸.سيد سعيد: السينما والسياسة (مرجع سابق)، ص81.

⁹.جان الكسان: السينما في الوطن العربي (مرجع سابق)، ص243.

¹⁰.سيد سعيد: السينما والسياسة (مرجع سابق)، ص81.